



النبرة الحجاجية وجمالياتها في الخطاب القرآني

The Argumentative Tone and its Aesthetics in Quranic Discourse

مصطفى الأخضر¹، عرابي أحمد²

¹ جامعة ابن خلدون تيارت (الجزائر)، Mositfa17@gmail.com

² جامعة ابن خلدون تيارت (الجزائر)، Orabo14@hotmail.fr

ملخص:

يُعدُّ الخطاب القرآني منهلاً معرفياً ثرياً للممارسات اللغوية، والحقول الدلالية، صوتاً وصرفاً وتركيباً ودلالة وجمالاً وحجّة، لأنه خطاب الإعجاز والبيان، الذي تحدى أرباب الفصاحة والبيان ممن ادّعوا اعتلاءهم كرسي البلاغة، من أهل العرب على أن يشاكلوه في اللفظ والمعنى ولو بأية لكنهم ظلوا عاجزين مستسلمين أمامه مذعنين له. فهو الخطاب المتفرد نظماً، والمعجز أسلوباً. ولقد كانت تراكيبه غنية ثرية بالآليات الحجاجية الساطعة في مقامات عديدة ومتباينة، تأييداً لرسالات رسله، وإبطالا لزعم كل مُنكر معرض عن الدعوة الإسلامية. لذا جاءت هذه الورقة البحثية لتتقصى فن الإقناع والتأثير من خلال النبرة الحجاجية وآلياتها الهادفة إلى الجمال الساحر في المواضع المتنوعة من الخطاب القرآني.

كلمات مفتاحية: الحجاج؛ الجمالية؛ الإقناع؛ التأثير؛ الخطاب القرآني.

Summary:

The Qur'anic discourse is considered as a rich source of knowledge for linguistic practices, semantic fields, in terms of sound, morphology, syntax, meaning, beauty, and rhetoric. It is the discourse of miracles and eloquence, which challenged the masters of eloquence and rhetoric among the Arabs who claimed superiority in rhetoric to match it in wording and meaning, even if only with a single verse; yet they remained

incapable and submissive before it. It is a unique discourse in terms of structure and an unparalleled style. Its constructions are rich and abundant with striking rhetorical mechanisms across various and diverse contexts, supporting the messages of its messengers and refuting the claims of every denier who turns away from the Islamic call. Thus, this research paper aims to explore the art of persuasion and influence through the rhetorical tone and its mechanisms aimed at enchanting beauty in the varied places of the Qur'anic discourse.

Keywords: Rhetoric; Aesthetics; Persuasion; Influence; Qur'anic Discourse

1. مقدمة:

لاشك أن الأمة العربية أمةٌ تربعت على كرسي الشعر والبيان، وملكت آلياته، وتذوقت فنونه، إذ دأبت على صناعته سليقةً وفطرةً منذ العصر الجاهلي، وترعرعت ملكتها في حُضن أسواقها العربية آنذاك وأضفت هذه الأرضية الخصبة للإبداع الأدبي حِسًا نقديا موسوما بآليات الججاج، والإقناع والتأثير، التي تستند إلى معايير الجودة والرداءة ومدى تأثيرها في المتلقي من حيث الصياغة والسبك والإبداع وحُسن التمثيل والتصوير الفني. والجمال والإقناع والتأثير... أينما ادّعت امتطاءها عرش البلاغة والبيان، والتفنن في القول والجدال، وما لبث الأمر كذلك إلى أن أنزل الله ﷻ على خاتم الأنبياء والمرسلين محمد ﷺ قرآنا بلسان عربي مبين، رفيع الأسلوب، مُحْكَم النظم، دامغ الحجة، معجزا بحركاته وسكناته وحروفه ونظمه، متحديا العرب على الإتيان بمثله تحديا متدرجا، أينما أبهتهم وأخرس ألسنتهم بالحجة الدامغة في مواطن متباينة، وبآليات حجاجية موسومة بقوة الإقناع والتأثير، وتضفي طابعا جماليا ساحرا على الخطاب القرآني. فما الججاج في العرف اللغوي والاصطلاحي؟ وما آلياته؟ وما مدى تجلّيا على مستوى الخطاب القرآني؟ وما جمالياتها؟ وكيف حقق جمال النظم خاصية الإقناع والتأثير؟

1. الججاج بين العرف اللغوي والاصطلاحي:

1.1 الججاج في العرف اللغوي:

الججاج مشتق من الفعل حَاجَّه مُحَاجَّةً وَجِجَاجًا، أي جادله وناقشه وغلبه بالحجة والدليل، وفي ذلك يقول ابن منظور: «حاججته أَحَاجُّه جِجَاجًا وَمُحَاجَّةً حتى حججته أي غلبته بالحجج التي أدليت بها... والحجة: البرهان، وقيل: الحجة ما دُفِعَ به الخصم، وقال الأزهري: الحجة الوجه الذي يكون به الظفر عند الخصومة. وهو رجل مُحَجَّجٌ: أي جَدِل. والتَّحَاجُّ: التخاصم، وجمع الحجة: حُجج وَجِجَاج. وحَاجَّه مُحَاجَّةً وَجِجَاجًا: نازعه الحجة،

وَحُجَّةٌ يَحُجُّهُ حَجًّا: غلبه على حُجته. وفي الحديث: فَحَجَّ آدم موسى أي غلبه بالحجة. واحتج بالشيء: اتخذهُ حُجَّةً، قال الأزهري: إنما سُميت حُجَّةً لأنه تُحَجُّ أي: تُقصدُ، لأن القصد لها وإليها، وكذلك مَحَجَّةُ الطريق هي المُقصدُ والمسلك. وفي حديث الدَّجَال: إن يَخْرُجُ وأنا فيكم فأنا حَجيُّهُ أي مُحاجُّهُ ومُغالبُهُ بإظهار الحجة عليه. والحُجَّة: الدليل والبرهان⁽¹⁾.

والمعنى نفسه عند ابن فارس حيث يحصر جذر (حَجَجَ) من الحُجَّة والحِجاج في تحقيق القصد، والنيل من الحق، والظفر بالغلبة عند الخصومة⁽²⁾.

وفي القاموس المحيط للفيروز آبادي: «الحُجُّ: القصد، والكف والقُدوم... والغلبة بالحجة، وكثرة الاختلاف والتردد وقصد مكة للنُّسك... والتحاُجُّ: التخاصم»⁽³⁾.

وبناء على محصله هذه التعاريف اللغوية الثلاثة، وغيرها مما ورد في بطون المعاجم العربية ينجلي أن من دلالات الجذر المعجمي (حجج): الجدل والنقاش والتخاصم والغلبة والظفر، والقصد والدليل والبرهان، حيث تقوم العملية على ثنائية الأطراف من المرسل والمتلقي لكي يتحقق جسر التواصل بينهما، ويظفر صاحب القوة الساطعة المسندة إلى الحجة المفحمة و المفعمة بالحق والغلبة، سواء تجسد الأمر في إثبات فكرة أو إبداء رأي.

ولم يخل الخطاب القرآني من هذه المادة المعجمية بل كان غنيا بها وبالمعنى ذاته من المحاجة والجدال والنقاش والغلبة، والدليل... في مواضع شتى، حيث يقول تعالى: ﴿قُلْ أَتَحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ﴾ [البقرة، 139].

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أَحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة، 258]

وقال تعالى: ﴿فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ [آل عمران، 20]

وقال تعالى: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ [آل عمران، 61]

وقال أيضا: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [آل عمران، 65]

2.1 الحجاج في العرف الاصطلاحي:

تعددت حدود المصطلح من الوجهة الاصطلاحية لتشعب مجالاته، وتعدد ميادينه بين اللغة، واللسانيات والفقه والقانون والسياسة والفلسفة وغيرها... إلا أنه يهدف إلى تحقيق الإقناع والإفحام والتأثير لدى المتلقي، بتقديم براهين وأدلة عن طريق الجدل والمناقشة والمغالبة والدليل والبرهان للتوصل إلى النتيجة والغاية.

يقول التهانوي في كشفه: «الحُجَّة بالضم مرادف للدليل كما في شرح الطوالع. والحجة الإلزامية هي المركبة من المقدمات المسلمة عند الخصم المقصود منها إلزام الخصم وإسكاته وهي شائعة في الكتب. والقول بعدم إفادتها الإلزام لعدم صدقها في نفس الأمر قول بلا دليل لا يُعْبَأُ به.. والحُجَّة عند المحَدِّثين هو الذي أحاط علمه بثلاثمائة ألف حديث متناً وإسناداً وأحوال روايته جرحاً وتعديلاً وتاريخاً»⁽⁴⁾.

ويحمل الشريف الجرجاني في كتابه التعريفات المصطلح أيضاً على معنا الدليل والشاهد الكافل لقوة الإقناع، والتأثير في المتلقي، وبذلك تُحمل الحجة محمل الدليل⁽⁵⁾.

ويُعرِّف الجدل والجدال بلفظ الحجة ومعناها، فيقول: «الجدل رفع المرء خصمه عن إفساد قوله بحجة أو شبهة أو يقصد به تصحيح كلامه وهو الخصومة في الحقيقة. الجدل عبارة عن مرأ يتعلق بإظهار المذاهب وتقديرها»⁽⁶⁾.

كما أن الحجاج من خلاله يتوصل المتكلم برسائله المنوطة بجسر التواصل إلى تغيير معتقدات أو عادات وتقاليده المتلقي بوسائل لغوية، مفعمة بالإقناع والتأثير.

ويعرفه إبراهيم مذكور بأنها (أي الحجة): «ما يراد به إثبات أمر أو نقضه، وهي أنواع مباشرة وغير مباشرة، ومنها: المحاجة ويراد بها طريقة تقديم الحجج والإفادة منها: أو الحجاج الذي يقوم على جمع الحجج لإثبات رأي أو إبطاله»⁽⁷⁾.

وهناك من يرى أن الحجاج يتنوع بين المجال الفلسفي المنطقي القائم على الاستدلال والبرهان بأدوات تفسيرية تحليلية، قائمة على الشاهد والحجة المنطقية من جهة، ومن جهة أخرى الجانب البياني البلاغي الجمالي المتكفّل بسحر المتلقي والتأثير فيه أيما تأثير، أينما يتشكل جسر التواصل، ويتحقق التفاعل..

ويؤكد بيرلمان ذلك مركزا على وظيفته الهادفة إلى إحداث التأثير والاقتناع والاستجابة لدى المتلقي من خلال الخطاب المشحون بالأساليب المتنوعة، فينتج التفاعل بأعلى درجاته⁽⁸⁾.

وهناك من حصر الحجاج في الخطاب المتضمن لمحمولٍ مُعين، أو دعوى معينة، يمكن تأييدها أو رفضها، وتكون الحجة دليلا على صحة الدعوى، ولا يعدو الخطاب إلا أن يكون كذلك «إذ حدَّ الخطاب أنه كلُّ منطوق به مُوجَّه إلى الغير بغرض إفهامه مقصودا مخصوصا»⁽⁹⁾.

وبذلك يكتسب الخطاب سمة الرقي والجمالية، ويتجاوز وظيفة النفعية إلى الانفعالية، فلا قيمة للخطاب بدون حجاج، بل يُعدُّ الحجاج حَقْلَ الخطاب الذي يكتسب منه طابعه ووظيفته وغايته. ولعل هذا الأخير هو الذي تبحث فيه البلاغة الجديدة المتقصية لتقنيات الخطاب، والقائمة على البرهان والاستدلال، والاهتمام بالمتلقي ووظيفة الإقناع والتأثير.

2. الحجاج بين التراث والحداثة:

1.2 الحجاج في التراث:

لا شك أن الحجاج قديم قدم الإنسانية، فمتى قام مقام البلاغة إلا واقترب معه معنى الحجاج والتأثير والإقناع فقد قيل «لكل مقام مقال»، أينما يتم مراعاة المقامات وانتقاء ما يناسبها من الخطابات، ولقد ظهرت أشكاله مبكرا في التراث اليوناني وما دار فيه من جدل ومراء بين الفلاسفة، حينما اتخذ السفسطائيون الخطابة ملاذا ووسيلة للمغالطة والإذعان السلبي والجدل والسفسطة، وتولدت عن ذلك النظريات الحجاجية الناجمة عن تعدد الخطابات القضائية الهادفة إلى التأثير في السامعين أو تغيير سلوكياتهم أو تبنيهم قضايا وأفكارا جديدة، وكانت البلاغة ملاذهم في انتقاء أحسن الألفاظ والأساليب المشحونة بقوة التأثير والإقناع، بأساليب قوامها التهكم والسخرية والتشكيك والتضليل والطمع في التكبس والارتزاق، وعلى أنقاضهم ورَفَضِ فكرهم جاء سقراط ليبطل جدلهم وخداعهم ومكرهم المضلل لحياة الناس، وذلك بإقامة معايير لبلاغة هادفة لخدمة شؤون الحياة، وانتهج السبيل نفسه تلميذه أفلاطون، أينما كان معززا فكرة الحجاج، ورافضا التصور السفسطائي، مركزا على التصور الفلسفي العقلاني، ومقصيا المحسوس الفلسفي. ثم يأتي

تلميذه أرسطو الذي يعد منهلاً للفلسفة اليونانية، ومؤسساً حقيقياً للبلاغة الحجاجية والخطابة المشحونة بقوة الإقناع والتأثير، ويبرز ذلك في تأليفاته الثلاثة: فن الشعر، والحجج المشتركة، وفن الخطابة.

أما التراث العربي فقد كان زاخراً بالفكر الحجاجي قبل بزوغ فجر الإسلام، وما تمحيص الحوليات، وتسويق البضاعة الشعرية والاحتكام إلى معايير الجودة وعمود الشعر إلا نسق من أنساق الحجاج. ولعل الشواهد النقدية منذ العصور الأولى التي تضمنت قضايا السبك والصياغة والعروض والنحو والمعنى والجمال والإقناع والتأثير... لكفيلة بقضايا الحجاج في تراثنا العربي النقدي.

ومع الفتوحات الإسلامية وفي حضان الخطاب القرآني المعجز يبرز نُضْجُ الحجاج جلياً لأن الخطاب القرآني قائم على البلاغة والفصاحة في الأسلوب والنظم في أبهى صورهما، وما البلاغة إلا صورة عاكسة للحجاج، فهي ترعى الخطاب من حيث الجودة والسبك والنظم، وتهتم بحال السامع بـ«مطابقة الكلام لمقتضى الحال».

ومن المبكرين الذي أشاروا إلى الإقناع والتأثير بانتقاء آليات البلاغة الجاحظ، حيث يشير إلى معاني الحجاج في مواضع متنوعة من كتابه البيان والتبيين، لاسيما أنه عاصر زمن الفرق والمذاهب القائم على المجادلة والمرء، حيث يقول: «أول البلاغة اجتماع آلة البلاغة. وذلك أن يكون الخطيب رابط الجأش، ساكن الجوارح، قليل اللحظ، مُتخير اللفظ لا يكلم سيد الأمة بكلام الأمة ولا المملوك بكلام السوقة»⁽¹⁰⁾.

فانتقاء آليات البلاغة من الإيجاز واللفظ والسبك وجمال النظم في الخطاب، ومزاوجته لهيئة الخطيب يحققان الإقناع والتأثير لدى المتلقي، وما ذلك إلا من أشكال الحجاج.

وفي المعنى ذاته يشير الجاحظ إلى أن البلاغة لدى الفارسي معرفة الفصل من الوصل، واليوناني تصحيح الأقسام، واختيار الكلام، وعند الرومي حسن الاقتضاب عند البداهة، والغزارة يوم الإطالة، وعند الهندي وضوح الدلالة، وانتهاز الفرصة، وحسن الإشارة، وعند بعض أهل الهند جَماع البلاغة يعني البَصَر بالحُجّة، والمعرفة بمواضع الفرصة⁽¹¹⁾.

ويشترط في الناظم أن ينتقي الألفاظ المناسبة للمقام، البعيدة عن الغرابة، والخفيفة على النطق، والمؤثرة في النفوس، «ومتى كان اللفظ أيضا كريما في نفسه مُتخيِّرا من جنسه، وكان سليما من الفضول بريئا من التعقيد حُبِّب إلى النفوس، واتصل بالأذهان، والتحم بالعقول، وهشَّت إليه الأسماع وارتاحت إليه القلوب، وخفَّ على ألسن الرواة وشاع في الأفاق ذكره»⁽¹²⁾.

كما نجد أبا هلال العسكري قد تناوله في باب الاستشهاد والاحتجاج في كتابه الصناعتين على أن تأتي بمعنى يمثل الاحتجاج ثم تأتي بمعنى آخر بمثابة الحجة والاستشهاد إثباتا لصحة المعنى الأول «وهذا الجنس كثير في كلام القدماء والمحدثين...وهو أحسن ما يتعاطى من أجناس صنعة الشعر...ومجراه مجرى التذييل لتوليد المعنى..وهو أن تأتي بمعنى ثم تؤكد به معنى آخر يجري مجرى الاستشهاد على الأول والحجة على صحته»⁽¹³⁾.

أما الجرجاني فيُعَدُّ تشعُّبه العميق وإمعانه الطويل في نظرية النظم، ودفاعه عن الشعر وقواعد بنائه، واشتغاله بنظم القرآن وإعجازه كفيلا بآليات الحجاج، فلا يقوم مقام للخطاب إلا بالتركيز والاحتجاج بقواعد ومعاني النحو، فـ «ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو، وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي نهجت، فلا تزيع عنها، وتحفظ الرسوم التي رسمت لك، فلا تخل بشيء منها»⁽¹⁴⁾، ولعل استثمار معاني النحو عند الجرجاني لا يتحقق في الألفاظ دون رصفها، بل على مستوى الخطاب الذي يكفل النظم والبناء والتعليق⁽¹⁵⁾.

ولا يقتصر الأمر على هؤلاء فحسب بل يتعداهم إلى أهل البلاغة جمعاء لتشمل السكاكي والقزويني والسيوطي والزركشي وابن الأثير وغيرهم... لأن غاية البلاغة التأثير والإقناع، وإضفاء الطابع الجمالي على الخطاب، سواء على مستوى علم المعاني أو البديع أو البيان، فالسجع بإيقاعه الصوتي حجة، والتشبيه بتجسيد وتشخيص الموصوف حجة، وانتقاء الأصوات في اللفظة الفصيحة والتركيب حجة، وما تقسيم السكاكي للبلاغة في كتابه مفتاح العلوم إلا إشارة إلى المنطق الاستدلالي.

2.2 الحجاج في الحداثة:

أما حديثا فيظهر التأثير جليا بالنظريات الغربية ابتداء من لسانيات دي سوسسر وما انبثق منها من البنيوية، وما قام على أنقاضها من التحويلية التوليدية والتداولية، حيث

تم بعث التراث العربي بروح تنظيرية علمية، وبعثت البلاغة القديمة في ثوب جديد يتجلى في الأسلوبية والبلاغة الجديدة القائمة على الحجاج.

ومن علماء العرب المحدثين نجد طه عبد الرحمن يؤصل للحجاج في التراث، ويقرنه بالتواصل اقترانا وثيقا إذ لا حجاج بدون تواصل، ولا تواصل بدون حجاج، ويأتي بلفظ الحجة ويقسمها باعتبار الحجة بناء استدلاليا مستقلا بذاته، فتوصف بأنها تجريدية، أو باعتبارها فعلا استدلاليا خاصا بالمتكلم، فتوصف بأنها توجيهية، أو باعتبارها فعلا استدلاليا خاصا بالمتكلم لإفادة المستمع، مع تقويم المستمع لهذا الفعل، فتوصف الحجة بأنها تقويمية، وبذلك تتشكل ثلاثة نماذج تواصلية للحجة: الأنموذج الوصلي ويتعلق بوصل عناصر البناء، والأنموذج الإيصالي وتتحقق فيه وظيفة إيصال المتكلم بالمستمع، والأنموذج الاتصالي وتتحقق فيه وظيفة التواصل والتجاوب بين المتكلم والمستمع بين توجيه الأول وتقويم الثاني⁽¹⁶⁾.

كما نجد عبد الله صولة من خلال تقصيه للحجاج في القرآن الكريم قام بإبراز الحجاج في النظم القرآني على مستوى كلماته وحركاته وصوره الحجاجية.

ويتوصل عبد الله صولة من خلال استقرائه الحجاج إلى أنه يتجزأ إلى ثلاثة مفاهيم:

- مفهوم مرادف للجدل ويمثله القدماء وبعض من المحدثين

- مفهوم مشترك بين الجدل والخطابة ويمثله اليونانيون.

- مفهوم حديث نُعت بالأدق والأوضح والأعمق يتزاج بين المبحث الفلسفي

واللغوي⁽¹⁷⁾.

أما علماء الغرب فقد أسهم التنظير اللساني لديهم في إقامة علم يهتم بدراسة أنواع الخطابات، ويشمل شؤون الحياة كلها، والبحث في الخصائص الإقناعية، وبلور ذلك في مولود جديد وُسم بالبلاغة الجديدة، ويمثل هذا الاتجاه بيرلمان الذي يهدف إلى البرهان أو الاستدلال من خلال الخطاب المشحون بالحجاج. ويتأسس لديه ما يسمى بالخطابة الجديدة التي تقوم على دراسة الحجاج باعتباره خطابة تؤثر في المتلقي وسلوكاته بمبدأ منطقي تفكيري. أما ديكر و أنسكمبر فيقوم الحجاج لديهما على اللغة فقط، حيث ترابط وتتابع الأقوال ببعضها ترابطا دقيقا، تنتج عنه حجج يدعم بعضها الآخر⁽¹⁸⁾.

3. أنواع الحجاج:

لقد تعددت آراء الباحثين في تحديد أنواع الحجاج لتشعبه وتنوع ميادينه، فمنها ما ذكره طه عبد الرحمن من الأنواع الثلاثة:

- 1/ حجة تجريدية (مجردة)، باعتبار الحجة بناء استدلاليا مستقلا بذاته.
- 2/ حجة توجيهية (موجهة) باعتبارها فعلا استدلاليا خاصا بالمتكلم،
- 3/ حجة تقويمية باعتبارها فعلا استدلاليا خاصا بالمتكلم لإفادة المستمع، مع تقويم المستمع لهذا الفعل.

وبذلك تتشكل ثلاثة نماذج تواصلية للحجة: الأنموذج الوصلي ويتعلق بوصل عناصر البناء، والأنموذج الإيصالي وتحقق فيه وظيفة إيصال المتكلم بالمستمع، والأنموذج الاتصالي وتحقق فيه وظيفة التواصل والتجاوب بين المتكلم والمستمع بين توجيه الأول وتقويم الثاني (19).

وهناك تقسيم آخر عليه ثلثة من الباحثين على ثلاثة أقسام تتمثل في (20):

- 1- الحجاج البلاغي القائم على التأثير في المتلقي بتوظيف الصور البلاغية.
- 2- الحجاج الفلسفي ويعتمد على الفلسفة، ويعتبرها آلية من آلياتها بهدف التأثير والإقناع.

3- الحجاج التداولي، ويرتكز على الفعل التداولي وأفعال الكلام للتأثير في المستمع.

4. آليات الحجاج:

وهي التي تسهم في تماسك الخطاب الحجاجي وانسجام معانيه، وتُحقق الربط بين السبب والنتيجة، ويمكن أن تتنوع بين (21): القرائن اللغوية، والآليات البلاغية، والآليات شبه المنطقية، أما الأولى فتتجسد في الروابط اللغوية كحروف العطف والجر والشرط والتعليل والتوكيد والنفي والإحالة بالضمير... أما الثانية فتتضمن مضامين علم المعاني والبديع والبيان... أما الثالثة فيجسدها السلم الحجاجي بروابطه اللغوية أيضا. كما تعد وسائل الاتساق والانسجام أدوات حجاجية كالإحالة والحذف والوصل والتقديم والتأخير...

5. نماذج تطبيقية من الحجاج في الخطاب القرآني:

يُعد الخطاب القرآني دستور الأمة الرباني، الذي يكفل الشرائع الدينية، ويحكم نظام الحياة، ويسن القوانين التي ترعى شؤون البشر، وتحافظ على ديمومتهم ومزاولة نشاطهم،

وحفظ أنفسهم وأهلهم وأموالهم، كما أنه في المقابل جاء تأييدا للدعوة الإسلامية، وإثباتا لوحداية الله عز وجل، وإنكارا لعبادة الأصنام، وتقريعا لزعم المشركين، الذي أعرضوا عن رسالة التوحيد، فاصطبغ بنبرة الحجاج والإعجاز على مستوى اللفظ والنظم والأسلوب، و أورد آيات كونية مشحونة بوجوه إعجازية، يستمتع بخيراتها و ظلالها كل مخلوق على وجه المعمورة، لاسيما من أخصه الله تعالى بالعبادة من مخلوقات الإنس والجن، لعلها تكون سبيلا لهدايتهم واستسلامهم وخضوعهم لله عز وجل، ومادام الخطاب القرآني مفعما بنبرة الحجاج والدليل سنحاول أن نورد آيات من سور متباينة، ونتقصى فيها آيات الحجاج وجمالياته، التي تنوعت بين أساليب المعارضة، وأفعال الكلام، والروابط اللغوية، وتراكيب التمثيل والتشبيه والاستعارة، ومن هذه الآيات:

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة، 258]

ورد الخطاب القرآني مشحونا بحجاج المعارضة في هاتين الآيتين، لأن الموقف موقف إعراض يستدعي حجة داحضة دامغة لحجة الخصم، ذلك أن إبراهيم لما أخرجه الملك النمرود من السجن لكي يحرقه حينما كسر الأصنام، أراه حجة ساطعة قائمة على التوحيد، وإثبات الألوهية لله عز وجل، إذ من صفات الإله الحق الإماتة والإحياء، فكان مفاد الحجة أن ربي هو الذي بيده فعل الإحياء والإماتة ﴿إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ وفي الحجة إثبات لأمر الدعوة، وإبطال لحجة الخصم، إذ يتفرد الإله عز وجل بهذه الصفات، ولا مشاركة للمخلوقات له فيها، فرد عليه الملك منكرا ذلك من جنس الحجة نفسها ﴿قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ﴾ وهي حجة مغالطة، لكي يبطل حجة إبراهيم عليه السلام، ويبرهن على حجته بأنه هو القادر على الإحياء والإماتة أي قتلا أو عفوا، أمام قومه للمحافظة على مكانته وسلطته بينهم. فكان غرض أسلوب الاستفهام الحجاجي بالهمزة (ألم تر) التعجب والإنكار من فعلة الملك الذي آتاه الله الملك وبسط عليه نعمه، لكنه كفر ولم يشكرها، أو أنه حاج وأعرض لحظة أن أسبغ الله عليه نعمه. ويمكننا أن نمثل هذه المحاجة وفق السلم الآتي:

النتيجة: ادعاء الربوبية والملك من طرف النمرود.

الحجة (2): ﴿قَالَ أَنَا أُخِي وَأُمِيتُ﴾

الحجة (1): ﴿إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾

ولما كانت حجته باطلة مبنية على المغالطة، ما كان لإبراهيم أن يجادله فيها بل أفحمه بحجة ساطعة أخرى على أن يأتي بالشمس من المغرب ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ﴾، فأبهرت لسانه وأخرسه، بأسلوب خبري مؤكد بأداة التوكيد (إنَّ) لغرض الطلب والإنكار ﴿فَقِمْتَ الَّذِي كَفَرْتَ﴾ أينما بدا عجزه وعدم قدرته، وأقيمت عليه الحجة، وتوصل إبراهيم عليه السلام إلى النتيجة التي يريد إثباتها، ثم جاءت حجة نفي الهداية للقوم الظالمين ب (لا النافية) لتوكيد الخبر ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾. ويمكننا أن نلخص هذه الحجج في السلم الآتي:

النتيجة: الله سبحانه وتعالى هو الإله الحق المستحق بالعبادة

الحجة (2): ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ﴾

الحجة (1): ﴿رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾

قوله تعالى: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِئَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوها لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة، 259].

وحملنا على معنى التعجب الإنكاري السابق يُحمل معنى ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ﴾ دون اللفظ، والمأزُ كان كافرا بالبعث، ومنخرطا في سلك النمرود، وقيل: عزيز، وقيل: الخضر، والقريّة بيت المقدس، وورد لفظ ﴿أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ اعترافا بالعجز عن الإحياء وبعث الإعمار فيها، واستعظاما لقدرة المحيي، فكانت الحجة الساطعة أن أماته الله مائة عام ثم أحياه دون أن يتغير طعامه وشرابه من العنب والتين والعصير أو اللبن، وكان يحسب نفسه لبث يوما أو بعض يوم لأنه مات ضحى، وبعث قبل غروب الشمس وفي ذلك حجة، وفي المقابل ﴿وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ﴾ كيف تفرقت عظامه ونخرت، ﴿وَانْظُرْ إِلَى

الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِرُهَا ﴿ والمقصود عظام الحمار أو القرية المتعجب منها، أي نحيبها بعد أن نكسوها لحما وعصبا وفي ذلك حجة على قدرة وعظمة الخالق (22).

النتيجة: الاعتراف بقدرة الله عز وجل، والإيمان بحقيقة البعث

الحجة (5): جمع العظام وإعادة بعث الحمار للحياة

الحجة (4): موت الحمار

الحجة (3): بقاء الطعام والشراب على حاله

الحجة (2): أماته الله مائة عام

الحجة (1): تعجب الرجل من إحياء أهل القرية المدمرة

وفي قوله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿ أَوْعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿ [الأعراف، 65-69].

كان الجدل بين هود وقومه حينما دعاهم إلى عبادة الله وتوحيده، فأعرضوا عن ذلك، واتهموه بالسفاهة والافتراء فاستدعى المقام تقديم حجج، ودعمها بأدوات لغوية حجاجية كالنفي ﴿مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾، ﴿لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ﴾، الاستفهام الإنكاري ﴿أَوْعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾، بيان العلة والسبب ﴿لِيُنذِرَكُمْ﴾، وذلك تأييدا لحجته، وإبطالا لزعمهم وافتراءهم وتوهمهم.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ﴿ قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ ﴿ قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿ قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِينَ ﴿ قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَىٰ ذَلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿ وَتَالِ اللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُولُوا مُدْبِرِينَ ﴿ فَجَعَلَهُمْ جُودًا إِلَّا كَيْبَرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿ قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿ قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ﴿ قَالُوا فَأَتُوا بِهِ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿ قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ

كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ ﴿فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ﴾ ثُمَّ نَكِسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ ﴿قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ﴾ أَفِ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿[الأنبياء، 51-67].

ومن جمال الحجاج تزكية الله عز وجل لنبيه إبراهيم عليه السلام وإثبات الصلاح والهدى والرشد له من قبل النبوة أو من قبل موسى وهارون عليهما السلام ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ﴾ فدلّت (اللام وقد) على التحقيق والإثبات والتوكيد، فكان مُتَّسِمًا بقوة النظر والاستدلال والحجة الساطعة، حينما جادل قومه متجاهلا ومستحقرا ومستصغرا آلهتهم التي كانوا يعظمونها ﴿مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ﴾، وضلل عبادتهم وعبادة آبائهم، تشنيعا للتقليد الباطل، الذي استدرجهم فيه الشيطان على أن اتبعوا آباءهم، ودافعوا بكل جدية على الباطل ﴿قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ فدلّت (لقد)، والضمير (أنتم) على التحقيق والإثبات، وعُطِفَ لفظ (الآباء) بالواو على (أنتم) لقبح المقلدين، فتعجبوا من تضليله إياهم ضانين أنه مازح معهم، فأتاهم بالحجة الساطعة إثباتا للبيّنة والقدرة على الاحتجاج وتقديم الشواهد، وإدلائه بالحجج التي تتجاوز حجّتهم الوحيدة الباطلة القائمة على اتباعهم مذهب آبائهم ﴿قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَى ذَلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾.

ثم تأتي الحجة الساطعة المؤيدة للقول باللسان، والمتمثلة في تحطيم الأصنام دفاعا على الدين، وكُرِّهًا للمعبود الباطل (الأصنام)، بلفظ القسم (تالله) لأن التاء خاصة في القسم باسم الله وحده ﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ﴾، حيث حطمها، وأبقى كبيرهم، وعلق الفأس بعنقه لكي يكون دليلا في إقامة الحجة عليهم، لعلمهم يهتدون ﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ﴾ فأبكتهم وأخرس ألسنتهم، حينما لم ينطق كبير الأصنام، ويدفع الضرر عن نفسه، لكنهم أصروا على كفرهم وعنادهم، فتضجر إبراهيم عليه السلام لعنادهم على عبادة الأوثان، وثباتهم على مذهبيهم الباطل، على الرغم من إقامة الحجة عليهم ﴿قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ﴾ أَفِ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿.

وقال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفَتْ عَلَيْهِ فَالْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [القصص، 7].

ومن آيات الحجاج الساطع في هذه الآية نجاة موسى عليه السلام من كيد عدوه فرعون، وحفظه من لدن قابلة الولادة في التنور المسجور، لكي لا تراه العيون المتقصية للمواليد الجدد، بعد أن ألقى المولى عز وجل السلامة الكاملة لموسى عليه السلام بين يدي أمه، فما عليها إلا أن ترضعه. ويرد الشرط (إذا) على أن تلقية في اليم في حال الخوف عليه، ويكون الخوف هنا واجبا على أن يسمع الجيران صراخه فيبيلعون فرعون، وألا تخاف وتحزن على ضياعه في البحر، أو سقوطه في يد عيون عدوه، ويكون الخوف هنا منهيًا عنه بتكرار لا الناهية بين الخوف والحزن، ثم يأتي الحفظ وإعلاء مكانته بالرسالة مؤكدين (إن) المسندة إلى ضمير العظمة (نا) ﴿إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ على الرغم من أن موسى عليه السلام تربى ونشأ في حضن فرعون، وكفل الله عز وجل له أسباب الرعاية والتنشئة من طرف أمه وأخته وزوج فرعون في قصره.

وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَا مُوسَىٰ إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تُهَنِّكُهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَىٰ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْأَمِينِينَ ﴿اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ [القصص، 30-32].

ومن صور الحجاج تكليم الله عز وجل لنبيه موسى عليه السلام، ومخاطبته له بإلقاء العصا التي تجسد صورة التشبيه بالجنان بحرف المماثلة (كأن)، وهو من أكثر الصور المعهودة في معتقدات العرب، أينما تتحقق قوة التأثير والإقناع، ليطلب منه الإقبال بفعل الأمر (أقبل)، ويُنفى الفزع والخوف لديه بلا النافية، ويُضرب على قلبه الأمان المؤكد (إن) ﴿أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْأَمِينِينَ﴾، ثم ترد الحجة الثانية في بياض اليد، وتشكيل الصورة البيانية المماثلة لليدين بالفعل المستعار من الطائر بجناحيه ﴿وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ﴾ وذلك تأكيداً لمنع الخوف والفزع، والتحلي بالثبات وقوة النفس أثناء الموقف، لأن الطائر إذا خاف نشر جناحيه وأرخاهما، وإذا لم يكن كذلك ضمهما، وهذان دليان ساطعان لتأييد رسالة موسى عليه السلام، وإذعان وإذلال فرعون وملئه.

وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا لَوْلَا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَى أَوَلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا وَقَالُوا إِنَّا بِكُلِّ كَافِرُونَ﴾ [القصص، 48].

ترجم الآية إعراض المشركين، واضطرابهم في كفرهم وعنادهم، فلم يثبتوا على حجة واحدة، فأحيانا يعرضون وأحيانا يشترطون، فكانت الحجة مجسدة في أنهم كفروا بما جاء به موسى باستفهام إنكاري ﴿أَوَلَمْ يَكْفُرُوا﴾، والحجة الثانية بأداة التوكيد ﴿وَقَالُوا إِنَّا بِكُلِّ كَافِرُونَ﴾ وهذا دليل قطعي عن التكذيب والتولي والإعراض عما جاء به موسى ﷺ.

خاتمة:

وختاما نخلص إلى أن الحجاج لم يكن حديث العهد، بل له جذور غابرة في التراث الإنساني، وهو متشعب الميادين والمجالات، مما أدى إلى تعدد مفاهيمه وأنواعه ومجالاته وأدواته. وقد شهد نضجا غضا في حُضن الدرس اللساني الحديث، حيث استمد منه أدوات علمية إجرائية ظهرت في زي البلاغة الجديدة الهادفة إلى الإقناع والتأثير.

ويعد الخطاب القرآني أعظم معجزة لخاتم الأنبياء محمد صلى الله عليه وسلم، ومدونة ثرية بالحجاج وآلياته، فجاء مُفعما بوجوه الحجاج ووسائله وأدواته المحققة للوجوه الجمالية لاسيما وظيفة الإقناع والتأثير، فزخر بالآيات الكونية الإعجازية، وآليات المعارضة، والتمثيل الحجاجي، وأفعال الكلام، وأساليب الترغيب والترهيب، والبيان والبديع والمعاني، وأدوات الربط من حروف المعاني، وأدوات التوكيد والضمائر والإحالة بأنواعها والالتفات، وغيرها...لأنه بصدد إثبات الدعوة إلى عبادة الله، وإحقاق الحق، وإبطال الباطل من عبادة الأوثان والأصنام، ورسم نهج الحياة للإنسانية جمعاء.

8. مراجع البحث وإحالاته :

(1) ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف كورنيش النيل بالقاهرة، تح:عبد الله علي الكبير ومحمد أحمد حسب الله وهاشم محمد الشاذلي، دط(دت)، ص 799.

(2) ينظر: ابن فارس أبو الحسين أحمد بن زكرياء، مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، دط(دت) ج 2، ص 30.

(3) الفيروزآبادي مجد الدين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، تح: مكتب تحقيق التراث بدار الرسالة بيروت لبنان، ط8(2005)، (مادة حجج)، ص 183.

- (4) التهانوي محمد علي، كشاف اصطلاحات الفنون، تح: د/علي دحروج، مكتبة ناشرون لبنان، دط(دت)، ج1، ص622.
- (5) ينظر: الجرجاني علي بن محمد الشريف، التعريفات، مكتبة لبنان، بيروت، ط1(1985)، ص86.
- (6) المصدر نفسه، ص78.
- (7) إبراهيم مدكور، المعجم الفلسفي، مجمع اللغة العربية، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، دط(1983)، ص67.
- (8) ينظر: سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي، بنياته وأساليبه، عالم الكتب الحديث إريد، الأردن، ط2(2011)، ص21..
- (9) طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي بالرباط، المغرب، ط1(1998)، ص215.
- (10) الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر، البيان والتبيين، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط7 (1998)، ج1، ص92.
- (11) ينظر: المصدر نفسه، ج1، ص88.
- (12) المصدر نفسه، ج2، ص8.
- (13) العسكري أبو هلال، كتاب الصناعتين، تح: محمد أمين الخانجي، ط1 (1320هـ)، ص331.
- (14) الجرجاني عبد القاهر، دلائل الإعجاز، تح: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي بالقاهرة، دط (2000)، ص81.
- (15) ينظر: المصدر نفسه، ص361.
- (16) ينظر: طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص254، 255، 256.
- (17) ينظر: عبد الله صولة، الحجاج في القرآن الكريم من خلال خصائصه الأسلوبية، دار الفارابي بيروت، ط2(2007)، ص8، 9.
- (18) ينظر: سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي، ص23.
- (19) ينظر: طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص254، 255، 256. إلى غاية 265.
- (20) ينظر: هاجر مدقن، آليات تشكل الخطاب الحجاجي بين نظرية البيان ونظرية البرهان، مقال ضمن مجلة الأثر، جامعة ورقلة-الجزائر، ع5، 2005، ص173، 174.
- (21) ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب مقارنة تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة بيروت، لبنان، ط1(2004)، ص477.
- (22) ينظر: الزمخشري جار الله أبو القاسم، الكشاف، تح: عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي معوض، مكتبة العبيكان، ط1 (1998)، ج1، ص488-491.